وانقطع في الحجة من توبيخه تبيينهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل في اطباقهم عن الاعراض عنه وليس على انهم لم يجدوا سبيلا اليه
اذ لو كان لنقلوه ما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عنهم عند تحويل القبلة وقالوا
ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي
القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه
قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق
النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من
الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه
جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة صغيرة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدا ولا يشبه
عليك بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن
الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم
الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال
الزجاج قوله هذا ربي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه
لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال
لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكون مثلكم في



ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل
من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود
وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث
الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر فعادا
بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا
فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها
قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن
شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان عليه السلام
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام
معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم
تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي
بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي
لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك
ضال فهدى اي اهتدى بك قال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا
هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)